

بالخافه ، وأحياناً كان يتصدى للمارة
ويسألهم إذا كانوا يعرفون سبيلاً إلى
عمل خال

ولم يمد بمحتمل جيرازيم أن يكون عالة على
الناس . وقد أصبح وجوده يغيظ بعض
مضيفيه . وتعرض بعض الخدم الذين
كان ينزل عليهم لتأنيب مخدميهم إياه بسببه . لقد
كان في حيرة تامة لا يدري ماذا يفعل ، وأحياناً
كان يجوب الطرقات النهار كله دون أن يتناول
طعاماً ...

— ٢ —

في أحد الأيام ذهب جيرازيم إلى صديق له من
أبناء قريته ، يعيش على حدود موسكو . وكان هذا
الصديق حوذكاً عند رجل يدعى شاروف ، وقد
مضى عليه أعوام كثيرة في خدمته شاروف ، وقد
أفلح في أن يستحوذ على محبة سيده فأصبح
يأمنه على كل شيء ويبدى له دلائل الرضا .
ولم لسانه الفتيق هو الذي كسب له ثقة سيده
فقد كان يشي بكل الخدم ، وكان شاروف يقدره
من أجل ذلك

وتقدم جيرازيم وحياءه واستقبل الحوذكى صديقه
استقبالاً مناسباً وقدم إليه شايًا وبعض الطعام
ثم سأله عما يفعله فأجابه :

— في أسوأ الأحوال يا مجور . إنى أعيش
بدون عمل منذ أسابيع

— ألم تسأل مخدمك القديم أن يستميدك إليه؟

— لقد سألته

— أو لم يقبل ؟

— هناك من حل على

الخادم

للطاب العظيم سمبونوف

بقلم الأديب نصرى عطا الله سوس

— ١ —

عاد جيرازيم إلى موسكو حين كان يتمدر
الحصول على عمل فيها ، وذلك قبل عيد الميلاد بأيام
قلائل . وفي هذه الفترة كان كل عامل يتمسك بعمله
مهما كان حقيراً ، طمعاً في الحصول على هدية من
مخدومه . وهكذا قضى الشاب الفلاح ثلاثة أسابيع
دائباً في البحث عن مهنة ولكنه لم يوفق

وكان يعيش مع أقاربه وأصدقائه الذين تزحوا
من قريته . ولم يكن في فقر مدقع ، ولكنه كان يغم
لرؤية شاب قوى مثله يحيا بغير عمل

وقد عاش جيرازيم في موسكو منذ حدثته .
وعند ما كان طفلاً كان يشتغل بغسل الأواني في
معمل من معامل البيرة ، ثم اشتغل بمد ذلك خادماً
في أحد المنازل . وفي السنتين الأخيرتين كان
يعاون أحد التجار ، ولولا أنه دعى إلى قريته
لسبب يتعلق بالخدمة العسكرية لبقى حيث كان إلى
الآن . ولسبب ما لم يقبل جيرازيم جندياً . ولما لم يكن
معتاداً حياة الريف فقد بدت القرية لعينيه في حلة
من الكآبة ، وصمم على الرجوع إلى موسكو مهما
كانت النتائج

وكل دقيقة تمر كانت تزيد ملله من جوب
الطرقات في فراغ وبطالة . ولم يترك جيرازيم أى
سبيل للعمل إلا طرقها . ولقد ضايق جميع معارفه

يذرع أرض الغرفة ثم وقف فجأة أمام جيرازيم وقال:
— استمع يا بني ، إذا رغبت في أن أحدث
السيد شاروف عنك فلا بأس

— وهل هو في حاجة إلى خادم؟

— لدينا خادم غير كفء . تقدم به العمر
ومن التعمذر عليه القيام بالخدمة . ومن حسن الحظ
أن هذه الصاحبة غير مأهولة — كما أن رجال
البوليس لا يدققون كثيرا ، وإلا لم يمكن الخادم
الشيخ أن يحتفظ بالمكان على حالة من النظافة ترضيهم
— آه .. لو أمكنتك ، حدثه عني يايجور —
إني سأدعو لك طول حياتي .. لم أعد احتمل العيش
بدون عمل

— حسن . سأحدثه عنك . تعال غدا .
والآن يحسن أن تأخذ هذه الدريهمات
— شكرا يايجور . هل ستحدثه عني ؟ قم بهذا
الجميل من أجلي
— حسن . سأحاول

وانصرف جيرازيم وأعد يجور العربة وارتدى
ملابسه الخاصة بمهنته وقاد العربة إلى الباب الرئيسي
للمنزل حيث ركب شاروف ، ثم انطلقت به الخيول
إلى المدينة وهناك أدى مهمته ثم آب إلى منزله .
ولاحظ يجور أن سيده على شيء من البشاشة فبدأ
حديثه معه :

— هل لي أن أسألك معروفا ؟

— وماذا تطلب ؟

— شاب من قريتي ، شاب طيب ...

ليس لديه عمل

— حسن !

— ألا تلحقه بخدمتك ؟

— آه ... هذا هو السبب . تلك هي خطبتكم
أيها الشبان . تخدمون رؤساءكم حينما اتفق ، فإذا
تركتم مهنتكم تكونون قد سدتم طريق الرجوع
إليها بالأحوال . ألا يجب أن تقوموا بواجباتكم
بحيث تنالون التقدير الحسن ، فإذا رجعتكم
إلى مخدوميكم لا يهملونكم — بل يخرجون من
حل محلكم ...

— وكيف يكون ذلك ؟ إنك لا تجد مخدومين
على هذه الشاكلة في هذه الأيام كما أننا لسنا بملائكة !
— وما فائدة تبديد الكلام ؟ إني أريد أن
أحدثك عن نفسي : إذا حدثتني تركت عملي لسبب
من الأسباب ورجعت إلى منزلي ، فالسيد شاروف
يقبلني عندما أرجع إليه ويكون سعيداً بقبولي
وجلس جيرازيم محزوناً . لقد لاحظ أن
صديقه كان يباهى بنفسه ، ورأى أن يسأله فقال :
— إني أعرف ذلك ولكن من العسير وجود
رجل مثلك يايجور . ولو لم تكن من أجود الخدم
ما أبقاك سيدك في خدمته اثني عشر عاما

فابتسم يجور لأنه كان يحب المدح وقال :

— ذلك هو الواقع . لو أنك اتبعت نظامي
في الحياة والعمل ما وجدت نفسك عاطلا شهرا
بعد أشهر

ونادى شاروف حوزيه فخرج وهو يقول :

— انتظر برهة .. سأرجع حالا

— حسن جدا .

— ٣ —

عاد يجور وأخبر صديقه أن عليه في خلال
نصف ساعة أن يعد العربة ويسرج الخيل ويستعد
لحمل سيده إلى المدينة . وأشمل يجور بيته وأخذ

— أرجو يا مولاي أن تلحقه بخدمتك . كم
أنا حزين له ! ياله من شاب خيّر ! ومع ذلك
فهو عاطل منذ أمد طويل . إنه سيؤدي واجبه على
أكل وجهه وسيخدمك باخلاص . لقد ترك عمله
الأول بسبب الخدمة العسكرية ولولا ذلك ما تركه
مخدومه الأول

— ٤ —

عاد جيرازيم في المساء التالي وسأل صديقه :
— هل أمكنك أن تقوم بشيء في سبيلي ؟
— نعم ... على ما أعتقد . دعنا نتناول بعض
الشاي أولاً ، وبعد ذلك نذهب لقابلة سيدي
ولم يكن جيرازيم بالراغب في شرب الشاي .
لقد كان متشوقاً إلى معرفة ما قر عليه أمره ولكن
مقتضيات الواجب واللباقة نحو صديقه أجبرته أن
يشرب قدحين من الشاي ، أخذه بعدها صديقه
إلى رب الدار

وسأل شاروف جيرازيم عن مكان سكته وعن
مخدوميه السابقين ، ثم أخبره بعد ذلك باستعداد لقبوله
خادماً عاماً يؤدي كل ما يطلب منه وأن عليه أن يأتي
صباح اليوم التالي ليبتدى عمله . وأذهل جيرازيم
هذا الحظ المفاجئ وكان فرحه عظيماً حتى أن قدميه
لم تقويا على حمله ، وبعد برهة رجع جيرازيم إلى
غرفة الخوذي

وقال له الخوذي : « حسن يا بني . يجب أن تمنى
بأن تؤدي واجبك على الوجه الأكمل حتى لا أضطر
يوماً إلى الخجل بسبك . أنت تعرف من هم السادة
إذا قصرت مرة تمقبوك دائماً بالبحث عن أغلاطك
ولن يدعوك في سلام أبداً
— كن مطمئناً يا مجبور

وانصرف جيرازيم وعبر في طريقه فناء المنزل ،

— وهل أنا في حاجة إلى خادم ؟
— ألحقه على أن يقوم بأية خدمة تطلب منه
— وماذا يعمل بوليكار ؟
— وما فائدة بوليكار ؟ ؟ لقد كان أوان فصله
— ليس من العدل فصله . لقد خدمنا عدة
سنوات . فلا أستطيع طرده بدون سبب

— ولنفرض أنه اشتغل بخدمتك سنوات ،
إنه لم يخدمك بنير أجر . لقد كان يتناول مرتباً ،
ومن المؤكد أنه ادخر بعض المال لسنى شيخوخته
— ادخر ؟ كيف كان يمكنه ذلك ، إنه ليس
وحيداً في الدنيا : لديه زوجة ومولها وهذه مضطرة
أن تأكل وتشرب أيضاً

— إن زوجته تكسب أيضاً . إنها
أجيرة باليومية . ولم تميز بوليكار وزوجته اهتماماً ؟
حقاً إنه خادم فقير . ولكن لم تبعت أموالك ؟ إنه
لا يؤدي عمله كما يجب . وعندما نحين نوبته في
حراسة المنزل يترك مكان الحراسة أكثر من
عشر ساعات أثناء الليل . لم يعد يحتمل البرد وقد
يكدرك البوليس بسببه يوماً . قد يهبط المغتش علينا
يوماً ، وعندئذ إن يسرك أن تكون مسئولاً عن
نتائج إهمال بوليكار

— ومع ذلك ففصله قسوة واستهتار . لقد خدمنا
خمسة عشر عاماً ، وبعد هذه المدة نعامله هذه المعاملة
الفضلة في شيخوخته ... إنها الخطيئة

— خطيئة ؟ هل يصيبه منك ضرر ؟ إنه لن
يموت جوعاً بل سيذهب إلى ملجأ الفقراء . وهذا
أجدي عليه . هناك بقضى شيخوخته في سلام
وأخذ شاروف يفكر في المشكلة ثم قال :

— حسن . دع صديقك يحضر هنا . وسأرى
ما يمكنني أن أفعل له

وكانت غرفة بوليكار تطل على هذا الفناء وكان ينبعث منها نور ضئيل بضياء طريق جيرازيم الذى شعر بالشوق إلى رؤية النرفة التى ستخصص له، ولكن زجاج النافذة كان منطى بالصقيع بحيث يتعذر رؤية أي شيء خلاله . وسمع جيرازيم أصواتاً تذبذب من النرفة فوق يتسمع . سمع صوتاً نسائياً يقول « ماذا نفعل الآن ؟ » فأجاب رجل — وكان بوليكار لا شك :

— لست أدري .. لست أدري، نطوف الشوارع مستجدين .

— هذا كل ما بقى لنا . وما من حيلة أخرى .
يا لله لنا، نحن الفقراء ! أى حياة تمسه نحياتها؟ نكد ونكد من الصباح الباكر حتى الليل يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام ، وعند ما تتقدم بنا السن تتصور جوعاً — ماذا نفعل؟ إن سيدنا ليس من طبقتنا، ولا جدوى فى الذهاب والتحدث إليه . إنه لا يهتم إلا بمصلحته

— كل السادة على مثل هذه الحقارة . إنهم لا يهتمون إلا بأنفسهم ، لا يخطر ببالهم أننا نفعل بشرف وإخلاص مدى سنوات ، نفنى زهرة قوامنا فى القيام بخدمتهم ثم يخشون أن يبقوا عاملاً آخر ، حتى ولو كانت لدينا القوة للقيام بواجباتهم . فإذا عجزنا تماماً وجب علينا أن ننصرف من تلقاء أنفسنا — إن شاروف لا يلام بقدر ما يلام حوزيه الذى يود الحصول على مهنة لصديقه

— نعم ... ياله من تعب ! إنه يمر كيف يشقى بلسانه ... وأنت يا مجبور أيها الحيوان القدر اللسان ... انتظر ، سأنتقم منك ، إنى سأذهب إلى السيد وأخبره كيف كان هذا الوغد يفسه وكيف يسرق الذهب والملك . وسأقنع السيد أن هذا الوغد يكذب فى كل ما ينقله عنا

— لا لا . أيتها المرأة لا ترتكبي خطيئة — أية خطيئة ؟ أو ليس حقاً ما أقوله ؟
إننى أعرف صدق ما سأحدث به وسأفنى بكل شيء للسيد . ولم لا ؟ ماذا نفعل الآن ؟ أين نذهب ؟ لقد حطمنا ، لقد حطمنا ، وانفجرت المرأة باكياً متأوهة سمع جيرازيم الحديث كله وكأنه خنجر أ نفذ فى أوصاله . لقد تحقق أى بلاء كان يجره إلى هذين الشيخين وشم أن قلبه يتمزق

وقف حيث كان زمناً طويلاً محزوناً غارقاً فى الفكر ، ثم دار على عقبه وذهب ثانية إلى غرفة الحوذى الذى سأله عندما رآه

— هل نسيت شيئاً ؟
وأجاب جيرازيم متلعناً : لا ... لقد أتيت ... استمع إلى ... أود أن أشكرك كثيراً على حسن استقبالك إياي ، وكل ما عانيت من أجل .. ولكنى لا أقبل العمل هنا — ماذا ؟ ماذا تعنى ؟

— لا شيء . لا أرغب فى العمل هنا . سأبحث عن عمل آخر . وانتابت مجبور حدة غضب وقال :
— هل تعنى أن تجملنى مجنوناً فى رأى سيدي ؟ هل تعنى ذلك أيها الأبله ؟ لقد أتيت تتضرع فى وداعة وترجو المساعدة . والآن ترفض العمل . أيها الوغد لقد أخزيتنى !

وسمى الدم إلى وجه جيرازيم وخفض عينيه ولكنه لم ينبس ببنت شفة

وأدار مجبور ظهره فى احتقار وكف عن الكلام وعندئذ التقط جيرازيم قبمته بهدوء وترك غرفة الحوذى وعبر الفناء مسرعاً ثم اجتاز باب المنزل وابعد عن الدار مهرولاً

وكان يشمر بالسعادة والفرح ...

نصرى عطا الله مرسى